من الذي يحمي حقوق الإنسان؟

بشرى جودت محمد أمين

استخدم مصطلح (حقوق الإنسان) كركيزة أولى لانتصار المظلوم وتثبيت مبادىء العدالة وترسيخها، ورفض الظلم، أيا كان مصدره. وقد صدر مصطلح (حقوق الإنسان) منذ نشأة التاريخ الأوروبي المعاصر، وكان شكلا من أشكال كفالة الحريات للطبقة البرجوازية ضد الإقطاع ، وقد تم تجاهل هذا المفهوم من قبل أصحاب الحق الطبيعي والأساسي، وهم الطبقة الكادحة من الفقراء والمعدمين والعبيد، ومن هنا تبدأ قصة (حقوق الإنسان). فالغرب يعتبر أن كل الناس سواسية، وهو ما سبق به نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم)، فقد سبق الغرب بألف وأربعمائة سنة، إذ قال: (الناس سواسية كأسنان المشط)، و(لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى). وهنا إذا جاز لنا تفسير كلمة (التقوى)، فإن معناها المجازي هو الوقوف إلى جانب المظلومين والكادحين، وهم متساوون في كل المجالات.

وفي انتقالة سريعة للماضي (عام ١٩٤٨ على وجه التحديد)، حيث صدر الإعلان العالمي الأول لحقوق الإنسان، بصيغته المعروفة، والتي تتبناه الأمم المتحدة، لشاهدنا صدور القرارات لصالح الدول الكبيرة، والمهيمنة على الأمم الأضعف منها، وهي قرارت تحمي سياساتهم ومصالحهم فقط..

ولقد أصدرت (منظمة العفو الدولية) بيانا دعت فيه قادة الدول، وخاصة الغربية، للاعتذار عن عدم الوفاء بما وعدوا به في (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان)، وانتقدت تلك المنظمة، في تقاريرها المختلفة، سجل الحكومات الغربية في هذا المجال.

ولسنا هنا بصدد محاسبة السياسة ذات الوجهين، ولا شك أن هناك سياسات غربية ومفاهيم نتفق معها، ولكن سياسة المكيالين التي تنتهجها، هي التي ننتقدها.

ولا شك أن (منظمة العفو الدولية)، التي طالبت الدول الغربية بالاعتذار من عدم الوفاء بما وعدوا به في (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان)، الذي صدر منذ أكثر من ستين عاما، يعطيك صورة مشرقة ومظلمة في آن واحد: فهو من جهة يدين

السياسة الغربية، ومن جهة أخرى علامة ناصعة في سجل هذه المنظمة الدولية، والتي تمسك بتلابيبها الدول الغربية. وهذا يدخل القارىء في حيرة من أمره.

إن الذي يحمي حقوق الإنسان هي القوة والوحدة في الدولة الواحدة من جهة، وبين الدول مجتمعة من جهة أخرى، ومحبة الإنسان للإنسان، وتقديم كل عون له دون مقابل. ومن أجل حمايته لا بد أن يتوافر معيار العدالة والصدق والشفافية المطلقة في المجتمع، ومكافحة الفقر اجتماعيا، وتوزيع الثروات في البلد الواحد، وبين البلدان، والإيمان والاعتراف بحقوق الآخرين، والعمل على تثبيتها عمليا، بالوقوف إلى جانب المظلومين حتى إعادة حقوقهم، وقدسية كرامتهم وحريتهم المطلقة، بما لا يتعارض مع الآخر.

إن الذي يحمي حقوق الإنسان ليست المواثيق والعهود، بل هو تنفيذ ذلك عمليا، وبمساواة الغني مع الفقير، والابتعاد عن الزيف، ووضع كل الدول في سلة واحدة، إذا تعلق ذلك بانتهاكات حقوق الإنسان. وأهم من ذلك: العمل على إزالة كل الآثار المترتبة على انتهاك حقوق الإنسان، ورد الحقوق إلى أصحابها، عند ذلك نتحدث عن الدولة المثالية العالمية، وهذا بعيد المنال حاليا. إذن إن حماية حقوق الإنسان هو وظيفة المجتمع كله، من أصغر فرد، إلى أكبر مواطن في أي دولة❑

الناس والمظاهر.. في عالمنا الثالث

سيروان أنور مجيد

حينما كنت في مرحلة البكالوريوس درّسنا أحد الشيوخ، وكان خريج جامعة الأزهر، وذا علم ودراية كبيرة بمنهجه وتجارب الحياة، فهو لحسن حظه كان قد أكمل الماجستير في الأزهر الشريف، وكانت (الأزهر) يومها قبلة لطلاب العلوم، يعجّون إليها من جميع البلدان الإسلامية. إلا أنّ الحظّ لم يحالف شيخي هذه المرة، ولم يستطع تكملة الدكتوراه، رغم محاولاته العديدة، لأنّه لم يوقّع للبعثيين، وقت نظام (صدام حسين) البائد، لذا لم يقبل في الدكتوراه، وهذا ما انعكس على شخصيته السايكولوجية سلباً، لا لأنه ليس بهذا المستوى، بل إنّ الكثير من أساتذة عصره من حملة الدكتوراه كانوا من طلابه، وحتى بعد الدكتوراه كانوا يتتلمذون على يديه .. لقد كانت المؤثّرات السلبية التي ترعرعت في كوامن شخصيته، هي من نتاج ذلك المجتمع .. مجتمع أفراده ينصتون لسابقة (د.)، أي: الدال والنقطة، ويحترمون صاحبها، أكثر من حامل الماجستير، والبروفيسور أكثر من الدكتور.. وهكذا دواليك، بغضّ النظر عن كيفية الحصول على هذه الشهادة، أو هل أنّ حامل هذه الشهادة فعلاً تنغرس فيه مفردات شهادته بما فيه..؟ فلربّ مدرّس أفقه من بروفيسور.. فالإبداع العلمي يتجسّد بالإثبات وطرح الأفكار والمؤلفات، أكثر بآلاف المرات من التلقي الببغائي..!

ولقد كان الشيخ محقاً، فهو يعيش في

مجتمع مسلم بالتسمية، ولكن (بطاقات أحوالهم الشخصية: التذكرة) مكتوب عليها: ملم.. في الصغر تألمت لهذا الـ(ملم) في التذكرة كثيراً، وخاطبت نفسي كيف أنّ القائمين على الجنسيات والتذكرة يكتبون (ملم)، ولا يبالون بتعريف المسلم مسلماً كتابة ومضمونا؟ وأيّام الكلية تعجبت من مقولة شيخي، وحجم معاناته التي لخصها في "الناس باللباس، ولو كان مام عباس (العم عباس)!!" وقلت حينها: أترى يكون هذا الكلام صادقاً على أفراد مجتمعي، لا سيما ونحن في مجتمع ينبغي أن نكون بمرتبة {خير أمّة أخرجت للناس}، حسب المنطق الربّاني..!

ولكن حينما مضت الأيام، وتعلّمنا شيئاً من سطور الكتب وتجارب الزمان، تيقّنت صحة كلام شيخي بحذافيره، في غالبية الأحوال.. وحتى مسلمو اليوم، في واقع الحال، لربّما تصح تلك التسمية المسطورة لهم في بطون تذكراتهم!

نعم، في غالبية الأحوال نحن نقيس الناس باللباس...! ففي عالمنا الثالث علينا أن نعيش للآخرين لا لأنفسنا....! فطريقة اللباس، ونوع السيارة، وطبيعة الشهادة، والسكن، هي التي أضحت المحدد الأساسي لهوية الشخص، والمحفز للاحترام، وليس جوهر الشخص. فنحن أمام المظاهر الخارجية بامتياز.. ولا ندري أننا أصبحنا، منذ زمن، عالة حتى على

العالم الإنساني.. نحن أمّة نعيش في الماضي أكثر من كوننا في الواقع، نبدع في النقد، وفي الموازنة غير الدقيقة، ولدينا إسهامات في تبغيض وتنقيص أمور الآخرين، وبالتأكيد نحن حكماء حال محادثاتنا عن آفات المجتمع، وكلنا لحظتها أصحاب مبادئ، ولكن حينما نأتي إلى حيز التطبيق، سرعان ما تغيب مبادؤنا، وبين عشية وضحاها نكون أصحاب مصالح، و(نفسي .. نفسي) يكون شعارنا الألمع!.. نعم، نجمّل أحاديثنا بالذكر الحكيم ،والأحاديث النبوية، وأقوال العلماء والحكماء، ونعلّم الآخرين، ولكن لا نستطيع تحمل برهة من النقد والرأي الآخر، كما كان خريجو الجامعة المحمّدية..! أما ترجمة ما نقوله في حياتنا، فاقرأ عليه السلام..! فهي للآخرين، وللغة التلفاز، لا أكثر من ذلك..! فإذا ما واجهنا الرأي الآخر، بأبسط لغة، سرعان ما نتهم كريم الأمس بالخيانة والوضاعة..

فما أغربنا نحن..! وأين نحن من مقولة مهندس الإسلام (عمر الفاروق) حينما يشدد في مقولته المشهورة عن إيجاد المرء سبل الخير لصاحبه، قائلاً: "لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً"، بل نعمل على العكس من ذلك تماماً، إلا من رحم ربّي.. نعم، نعمل عدّة أعذار لشتم الآخر والحطّ من مكانته وشخصيته وهيبته.. والكلام يطول ويطول فينا عن ذلك، ولا يسعفنا في ذلك المجلدات الكبيرة.. يا ويلتاه! لما حلّ بنا، وتغيرنا من أمّة القلم، إلى أمّة الأكل والأحلام والطبخ.

وأخيرا أقول: يا شيخي، كم أبدعت في وصف زماننا وواقع حالنا، فإذا كان العقد الماضي هكذا، فاقرأ على هذا العقد السلام، لأننا نتطور بالعدّ العكسي، ونخالف عجلة تطور الزمان، بل ونبدع في مخالفة تلك العجلة..! نعم أصبحنا نبدع في التخلف، لأننا لسنا كتلاميذ تلاميذ المصطفى في التجدد والحيوية.. والصبر فينا أصبح شيئاً من الماضي.. فأين نحن من صبر علي (كرم الله وجهه) في حيويته وتجدّده ونظرته البصيرة للتعلم والتطور في جميع ميادين الحياة، فهو كان أصبر من الصبر، ولهذا هؤلاء أصبحوا أمة في غضون سنين، إذ يقول عن صبره : "سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري، وأصبر حتى يأذن الله في أمري. سأصبر حتى يعلم الصبر أني صابر على شيء أمرّ من صبري" ❒